تطبيق 04: لامية ابن شرف

1/أبيات من اللامية

آهٍ لِـــــلقَـــيـــرَوانِ أَنّـــةُ شَـجـــو ... عَن فُؤادٍ بِجاحِمِ الحُزنِ يَصلى
حـيـنَ عـادَت بِـــــــهِ الدِيارُ قُبوراً ... بَـل أَقولُ الدِيارُ مِـنـهُنَّ أَخـــلى
ثُـمَّ لا شَـمـعَـةٌ سِـــــوى أَنـجُمٍ تَـخ ... طـو عَـلى أُفُقِها نَـواعِسَ كَسلى
بَـعدَ زُهرِ الشِـــــمـاعِ تـوقَدُ وَقداً ... وَمِـتـانِ الذُبـالِ تُـــــفتَلُ فَتلا
وَالوُجـوهِ الحِسانِ أَشـــــرَقَ مِـنـهُنْ ... نِ وَتَـفـضُـلَنَّهُـنَّ مَـعـنـىً وَشَكلا
لَو رَأَيـتَ الَّذيـنَ كـــــــانَ لَهُـم سَه ... لُكَ وَعـراً صَـيَّروا الوَعـرَ سَهـلا
بَـعـدَ يَـومٍ كَـأَنَّما حُـــــشِرَ الخَل ... قُ حُـــفـــاةً بِهِ عَـــوارِيَ رَجـــلى
وَلَهُـم زَحـمَـةً هُـنـــــالِكَ تَـحـكـي ... زَحمَـةَ الحَشرِ وَالصَحـائِفُ تُتلى
وَعَـجـيـجٌ وَضَـجَّةٌ كَـضَـجـيـج ال ... خَـلقِ يَـبـكونَ وَالسَـــــرائِرُ تُبلى
مِـن أَيـامَـي وَراءَهُـنَّ يَـــــتـامـى ... مُـلِئوا حَـسـرَةً وَشَـجـواً وَثُكـــلا
وَثُـكـالى أَرامِـلاً حـــــامِـلاتٍ ... طِـفـلَةً تَـحـمِلُ الرُضّـاعَ وَطِـفـلا
وَحَـصـانٍ كَـأَنَّها الشَمـــسُ حُسناً ... كَفَّنَتـها الأَطمارُ نَجلاءَ كَـــحلا
فـاتَ كُـرسِيَّها الجِـــلاءُ فَأَضحَت ... فـي ثِـــيـابِ الجِلاءِ لِلناسِ تُجلى

.....

لَيتَ شِعري هَل عـــودَةٌ لِيَ في الغَي ... بِ إِلى مـــــا أَطـالَ شَـجـوي أَم لا

2/التّعريف بابن شرف القيرواني:

محمد بن سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي القيرواني، أبو عبد الله: كاتب مترسل، وشاعر أديب. ولد في القيروان، واتصل بالمعز بن باديس أمير إفريقية، فألحقه بديوان حاشيته، ثم جعله في ندمائه وخاصته، واستمر إلى أن زحف عرب الصعيد واستولوا على معظم القطر التونسي (سنة 449 هـ) فارتحـــــل المعـــــز إلى المهديـــــة ومعـــــه ابـــــن شـــــرف. ثم رحـــل ابـــن شـــرف إلى صـــقلية، ومنهـــا إلى الأنـــدلس، فمـــات بإشـــبيلية. من كتبه (أبكار الأفكار) مختارات جمعها من شعره ونثره، و (مقامات) عارض بها البديع، نشرها السيد حسن حسني عبد الوهاب، في مجلة المقتبس، باسم (رسائل الانتقاد) ثم نشرت في رسالة

منفردة باسم (أعلام الكلام) وهذا من كتبه المفقودة، ولو سميت (رسالة الانتقاد) لكان أصح، لقول ياقوت في أسماء تصانيفه: (ورسالة الانتقاد، وهي على طرز مقامة) أما الذي سماها (مقامات) فهو ابن بسام، في الذخيرة، وقد أورد جملا منها تتفق مع المطبوعة. ولابن شرف (ديوان شعر) وكتب أخرى.

3/تحليل القصيدة:

أ. من النّاحية الموضوعيّة:

تتعدّد الموضوعات في قصيدة (آه للقيروان) نوجزها في الآتي:

-الخراب والحزن:

صوّر "ابن شرف" مأساة مدينته وقد لفّها الظّلام، وعمّها الصّمت، وخلت منها الحياة، إثر هجوم الهلاليين عليها، فكانت فاجعة للشاعر الّذي وقفا معبّرا عن حجم هذه الفاجعة بعبارات الألم والحزن، فقد خلّف هجوم الهلاليين آثارا لا تخلو من دمار وخراب وهلعا كبيرا أصاب الناس، فهُدّمت معالم نهضتها واستقرارها، قدّم ابن شرف في لاميته صورة مفصلة لهذا الوضع؛ فنراه يصف الهاربين من مدينة القيروان من رجال ونساء وشيوخ وأطفال وقد سارت بهم الطّرق، وازدحمت بهم المسالك، وألمت بهم المآسي فتعرّضوا إلى الجور والخراب، ومن عظم الخراب تحوّلت الدّيار إلى قبور.

إنّ المنطلق الأول لوصف هذا الخراب هو حزن الشّاعر الشّديد على الحال الّتي آلت إليه المدينة؛ وعاطفة الحزن تكاد تعم القصيدة من بدايتها إلى نهايتها؛ إذ أظهر تحسره على ما لقيته القيروان من انتهاك لحرمتها، وتشريد لأهاليها، ودمار للبيوت الّتي تحولت إلى قبور.

-الشّكوى:

لقد تحوّلت القيروان من مركز إشعاع حضاري وعاصمة للعلوم والثّقافة إلى خراب ودمار، وأمام هذه المصيبة وقف الشّاعر يشكو ويلقي باللّوم والعتاب على الزّمن والدّهر مؤمنا بأنّ ما حدث للقيروان مقدّر من عند الله عزّ وجلّ.

جار فيهم زمانهم وأولو الأمر ففروا يرجون في الأرض عدلا

-الغربة والحنين:

يشير مفهوم الاغتراب إلى معاني الضّياع الروحي والغربة النفسية وفقدان الذّات لكينونتها، وهذا ما شعر به الشّاعر بعدما حلّ الهلاليون بالقيروان فقتلوا وخرّبوا وشرّدوا، كما يطرح موضوع الغربة بحديثه عن رحيل الأهالي من مدينتهم طمعا في حياة أفضل في مكان آخر، لأنّ وضع القيروان الرّاهن صار غريبا لم يعهدوه من قبل منذ تأسيسها، فلم يلقوا سوى المذلة والإهانة، فصار الشّريف من أهلها مطأطَأ الرّأس، وهذا ما زادهم إحساسا بالغربة وحنينا إلى ماضي القيروان المجيد.

-الفقد:

بحلول الفاجعة بمدينة القيروان صار الفقد عنوان كل نفس؛ حيث فقد الزّوج زوجته، والصّديق صديقه، والأم ابنها ومن صور الفقد (آه للقيروان، تركوا الربع والأثاث، اعتدى الفراق عليه...)

-الموت:

صوّر الشّاعر الموت من خلال البيت الثاني حيث ذكر بأنّ الديار تحولت إلى قبور ومنه نكتشف حجم الكارثة والفاجعة الّتي أصابت القيروان وأهلها.

ب.من الناحية الفنّية:

من الأساليب الفنية الموجودة في القصيدة نجد الصور البيانية والمحسنات البديعية كالتشبيه (بعد يوم كأنّما حشر الخلق، عجيج وضجة كضجة الخلق، وحصان كأنّها الشّمس حسنى...) والاستعارة (جار فيهم زمانهم، من ثعابين حاملين...) والكناية (يسكبون الدّمع، ناكسا رأسه، مُزّقوا في البلاد...).

ونجد أيضا: الجناس (غفلا/غسلا، رجلا/رحلا، تتلى/تبلى...)، الطباق (الوعر/السهل، تفرّقوا/اجتمعوا، شرقا/غربا...).

أمّا الوزن فقد نظمت اللامية على بحر الخفيف، ورويها حرف اللام